

التبيان في تفسير القرآن

(130) تكليف البهائم والطيور وهي غير عاقلة. والتكليف لا يصح الا لعاقل، على ان الصبيان أعقل من البهائم ومع هذا فليسوا مكلفين، فكيف يصح تكليف البهائم؟ ! واما قوله " وان من أمة الا خلا فيها نذير " (1) فانه مخصوص بالمكلفين العقلاء من البشر والجن، والملائكة بدلالة أن الاطفال أمم وليس فيها نذيره واستدل ابوالقاسم البلخي بهذه الآية على ان العوض دائم بان قال: بين الله تعالى انه يحشر الحيوان كلها ويعوضها، فلو كان العوض منقطعاً لكان اذا أماتها استحقت اعواضا آخر على الموت وذلك يتسلسل، فدل على انه دائم وهذا ليس بشئ، لانه يجوز ان يميت الله الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الألم، فلا يستحقون عوضاً ثانياً، فالأولى ان يقول: ان دام دام تفضلاً منه تعالى. وقوله " ولا طائر " فانه جر، عطف على دابة وتقديره ولا من طائر، وكان يجوز ان يقرأ بالرفع حملاً على المعنى، كما تقول: وما جاءني من رجل ولا امرأة، وتقديره ما جاءني رجل ولا امرأة ومثله قوله " ولا اصغر من ذلك ولا أكبر " (2) في موضع بالنصب وفي موضع آخر بالرفع على ما قلناه. قوله تعالى: والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (39) آية بلاخلاف. الوقف التام عند قوله " في الظلمات ". وقوله " صم وبكم في الظلمات " يحتمل امرين: احدهما - ان يراد ان هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات الله صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقوبة لهم على كفرهم، لانه ذكرهم عند ذكر الحشر. _____ (1) سورة 35 فاطر آية 24 (2) سورة 10 يونس آية 61 وسورة 34 سبأ آية 3